من وسائل الارتقاء الإيماني

أهمية الارتقاء الإيمانى :

إذا وجد المسلم فى قلبه إنابة إلى دار الخلود وتجافياً عن دار الغرور واستعداداً للموت قبل النزول وإذا وجد وجلا فى قلبه عند ذكر الله عز وجل (وهو زيادة خفقان القلب وسرعة ضرباته) وإذا وجد فى قلبه خشوعا (ذلةً وانكساراً) عند ذكر الله عز وجل وإذا وجد قلبه حاضرا عند الذكر والصلاة وإذا وجد رقة فى قلبه بعد كل عبادة وإذا وجد الحلاوة عند الصلاة وعند الذكر وعند قراءة القرآن0 وإذا أحس بقرب المناجاه عند الدعاء فليحمد الله وليعلم أن القلب مفعم بالإيمان 0

أما إذا وجد فى نفسه تكاسلا عن أداء الطاعات مثل التأخر عن الجماعة والجمعة وترك السنن وهجر القرآن وضعف تحرى الحلال والحرام فلم يغض البصر فتزداد مجالس السهر والسمر واللهو فيتعلق القلب بالدنيا ويزداد الحرص على التمتع بمباهجها فتظهر الأثرة ويقل العفو والصفح وتتضخم الذات ويقل البذل والعطاء 0 فليراجع نفسه وليعلم أن الحال خطير وان الإيمان فى حال ضعف شديد ومابين هذا وذاك يزيد الإيمان وينقص حيث يزيد الايمان بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال أبو جعفر عن جده عمير بن حبيب وهو من أصحاب الرسول r " قال الإيمان يزيد وينقص قيل وما زيادته وما نقصانه ؟ قال إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه " .

وإذا كان المسلم حريصا على زيادة ايمانه فليتعهد قلبه فإنه محل العبودية وفيه تجتمع المشاعر والوجدانات من حب وبغض وخوف ورجاء ورغبة ورهبة وهو موضع نظر الله عز وجل وقد جعل الله له قدرا عظيما وفضله على سائر الجوارح كما قال المصطفى r " ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " [1]

وإذا أردت أخى فى الله أن تحيى قلبك فإليك هذه الوسائل : -

1- **أن نحيا بالقرآن الكريم**
2- **الإكثار من ذكر الله**
3- **قيام الليل (مدرسة الصالحين وقرة عين العابدين)**
4- **التعلق بالمساجد**
5- **اغتنام مواسم الخيرات والأوقات الفاضلة**
6- **كثرة الصيام**
7- **التفكر**
8- **المبادرة إلى الطاعات والإكثار من الخيرات**

1- أن نحيا بالقرآن

[1] متفق عليه رواه البخارى ومسلم وأورده الالبانى فى صحيح الحاكم فى 3193

أ- أهمية القرآن فى زيادة الإيمان :

وهو من أفضل وسائل زيادة الإيمان **"وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا"**[2] فالقلب خلق الله والقرآن كلام الله فلابد أن يكون بينهما انسجام إذا سلمت الفطرة . مسكين من ترك القرآن وأجهد نفسه بحثا عن طريق يوصل إلى الله عز وجل وقد قال عز وجل **"يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين "**[3]

أظنك الآن تسأل هل كل القلوب تنتفع بالقرآن ؟ فما بال الكفار لم يؤمنوا ؟ هل كل القلوب تهتز والأبدان تقشعر عند سماع القرآن ؟ فما بالنا نسمعه ولا نتأثر؟

أخى فى الله اعلم بأن القرآن هو القرآن ولكن العبرة بالقلوب التى تتعامل معه **" قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهى عليهم عمى"** [4] لا بد لمن أراد أن ينتفع بالقرآن أن يتحقق بالخوف والخشية من الله عز وجل **" فذكر بالقرآن من يخاف وعيد"** [5] **" طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى "**[6]

أظنك الآن تسأل ولكن كيف نحيا بالقرآن عمليا ؟

ب- هناك صور عملية شتى كى نحيا بالقرآن :

- **<u>التلاوة</u> :** أمرنا الله عز وجل بتلاوة القرآن مرتين فى آية واحدة فى سورة المزمل فى قوله تعالى **" فاقرءوا ما تيسر من القرآن "** وقوله **" فاقرءوا ما تيسر منه "** [7] كما أمر نبيه بترتيل القرآن **" أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا "**[8]

وقد أخبر النبى r فضل تلاوة القرآن " أنه من قرأ حرفا من كتاب الله كان له به عشر حسنات لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" .

ج- وللتلاوة آداب ينبغى لمن أراد أن يتلوا القرآن أن يتحلى بها : -

- استحضار النية وابتغاء مرضاة الله بها 0
- الوضوء والإستعاذة والبسملة 0
- إغتنام الوقت المناسب وأفضل الأوقات ثلث الليل الأخير حيث يتجلى الرب لعباده.
- اختيار المكان المناسب وأفضلها المساجد أو ركن هادئ فى البيت يفرغك عن المشاغل ويبعدك عن التشويش0
- اللجوء إلى الله والإقبال عليه إقبال المضطر وطالب النجاه0
- حصر الفكر فى التلاوة والبعد عن الشرود والتجوال بالفكر.
- استشعار التأثر بالآيات تفرح بآيات التبشير وتسأل الله أن تكون من أهلها وتحزن بآيات الإنذار وتسأل الله ألا تكون من أهلها 0

---

[2] الأنفال (2)
[3] يونس (57)
[4] فصلت (44)
[5] ق (45)
[6] طه (1-3)
[7] المزمل (20)
[8] المزمل (4)

- استشعار أنك المخاطب بكلام الله وبذلك تقف طويلا أمام الأمر والنهى لتعرف المطلوب منك0
- الحرص على تجويد التلاوة وتحسينها بالحرص على التعلم ومجالسة العلماء وكثرة السماع والتلاوة 0

- **د- التدبر :** لابد للمرء من أوقات يتدبر فيها القرآن . فالقرآن حجة لك أو عليك كما قال الحبيب المصطفى r فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم" والقرآن حجة لك أو عليك " فمن قرأ القرآن وهو غافل فربما يكون حجة عليه0

وقد حثنا المولى عز وجل على تدبر القرآن فقال : **" كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا أياته"**[9] وجعل من لا يتدبــر القـرآن مقفول القلب فقال " **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** " .

قد يدخل إليك الشيطان أخى فى الله يقول لك إن تدبر القرآن لا يستطيعه إلا العلماء من الناس فكيف لك أن تتدبر؟ فتذكر أن المولى عز وجل يقول : **" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون "** [10]

وللتدبر آثار طيبة :

فكم نقل التدبر فى آيات الله المرء من حال إلى حال فقد انتقل سيدنا عمر رضى الله عنه من حال الجزع عند موت النبى r إلى حال الرضى والتسليم والسكينة لما تدبر آية قرأها عليه سيدنا أبو بكر رضى اله عنه وهى **" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم "** [11] وقد انتقل أحد الصالحين من حال اللهو والإنشغال بالدنيا إلى حال العمل و الاجتهاد إلى عابد زاهد حين تدبر قول الله عز وجل **" وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون "** [12]

- **هـ- حفظ ما تيسر من القرآن :**

فالقلب الخالى من كلام الله عز وجل كالبيت الخرب فكلام الله نور ينير القلب ومراجعة المحفوظ أصعب لان القرآن أشد تفلتا من صدور الرجال من الإبل من عقلها فلتحرص ياأخى على مراجعة المحفوظ بترديده فى الصلوات والخلوات أو تعاون مع أخ لك على ذلك 0

- **و- الحرص على العمل بما جاء فى القرآن من أمر أو نهى :**

فهو بيت القصيد وهو خلاصة التلاوة والتدبر فقد قال بن مسعود رضى الله عنه " إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به" . ولقد حفظ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جذوراً[13] . لا تتعجب فإنه كان لا يجاوز الآية إلى التى تليها حتى يعمل بها. وها هو سالم مولى أبى حذيفة يوم اليمامة يحمل اللواء ويقول لنفسه بئس حامل القرآن أنا إن فررت فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاعتنقه إلى أن صرع واستشهد0

---

[9] ص (29)
[10] **الحشر (21)**
[11] **آل عمران (144)**
[12] **الذاريات (22-23)**
[13] **الجامع لأحكام القرآن (1/30)**

فلابد يا أخى أن يكون لك فى القرآن حياة تارة بالتلاوة وتارة بالتدبر وتارة بالحفظ والمراجعة ودائما بالعمل بما جاء فيه 0

2 - الإكثار من ذكر الله

أمرنا الله عز وجل به فقال **"واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون "** [14] وفى حديث ابى الدرداء أن رسول الله r قال " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ ذكر الله "[15] . والذكر حياه القلب كما قال ابن تيمية فالذكر للقلب كالماء للسمك وهو حصن حصين من الشيطان الرجيم وهو صدقات كثيرة يتصدق بها المرء فى ليله ونهاره كما قال المصطفى r فى الحديث :".. غراس الجنة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر "[16] . وأفضل الذكر ما كان باللسان والقلب معا وذكر القلب وحده خير من ذكر اللسان وحده ومواطأة القلب اللسان على الذكر أمر شاق ولكنه يسير لمن يسره الله عليه فمن حرص عليه وجاء بنفسه وفقه الله عز وجل كما قال بن القيم : " القلوب كالقدور والألسنة مغارفها " ويقول ابن القيم فى الفوائد : " من الناس من يبدأ الذكر باللسان وإن كان على غفلة ثم لا يزال فيه حتى يحضر القلب فيواطأ على الذكر ، ومنهم من لا يبتدأ فى الذكر باللسان حتى يستجمع القلب أولا فإذا حضر القلب ذكر بالقلب واللسان معا " . ولكل وقت ذكره ولكل حال دعاؤه المأثور عن النبى r فقد كان له r فى الصباح أدعية وفى المساء أدعية وعند الطعام دعاء وعند النوم دعاء وعند الخلاء فاحرص يا أخى على أن تحفظ أدعية النبى r واحرص على ترديدها بالقلب واللسان على كل حال وليكن لك ورد من الأدعية والأذكار قبل طلوع الشمس وقبل غروبها امتثالا لأمر ربك : **" وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى"** [17].

3) قيام الليل (مدرسة الصالحين وقرة عين العابدين)

1: فضل قيام الليل وأهميته :

فقيام الليل والناس نيام والانقطاع عن غبش الحياة اليومية والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره والأنس بالوحدة معه والخلود إليه وترتيل القرآن والكون ساكن وكأنما ينزل من الملأ الأعلى ، هى إعلان بسيطرة روح المؤمن على جسده واستجابة لدعوة الله وإيثار للأنس، به فللذكر فيه حلاوة وللصلاة فيه خشوع وللمناجاة فيه شفافية ، ولا يجد المرء ذلك فى صلاة النهار0 ومن كلمات الشهيد سيد قطب : "ولأهمية قيام الليل أمر الله نبيه حيث قال **" يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا "**

---

[14] **الجمعة (10)**
[15] **) رواه الترمذى**
[16] **) رواه الترمذى**
[17] **) سورة طه**

[18] وقال أيضا **" ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا "** [19] وامتدح الله المتقين لقيامهم بالليل فقال **" إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون "** [20]

ويقول الحبيب المصطفى r : " أقرب ما يكون العبد من ربه فى جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن "[21] . وقيام الليل شرف المؤمن كما قال الحبيب r : " شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما فى أيدى الناس " [22]

وكما قال الحسن : كان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكى طول الليل وهى لا تشعر ، فإن الليل لا يقدر عليه إلا صادق فى توجهه إلى الله حيث الخالق بلا خلق وسهام الليل لا تخطئ . يقول النبى r : " ينزل ربنا تبار ك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فاغفر له ؟" [23] وقد كان هذا دأب الحبيب المصطفى r لم يترك فى حضر ولا سفر ولا صحة ولا مرض . قالت عائشة رضى الله عنها : لا تدع قيام الليل فإن رسول الله r كان لا يدعه وكان إذا مرض أو قالت كسل صلى قاعدا "[24] . وكان r أحرص عليه فى الشدائد ففى يوم بدر قال على رضى الله عنه لقد رأيتنا وما منا إلا نائم إلا رسول الله r تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح"[25] .

وهذا كان دأب الصحابه رضوان الله عليهم ، قال العباس بن عبد المطلب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : " كنت جارا لعمر فما رأيت أحدا من الناس كان أفضل منه، إن ليله صلاه وإن نهاره صيام وفى حاجات الناس"[26] .

ب- ويعينك يا أخى على قيام الليل : -

- الرغبة الأكيدة فى القيام بالعزم والاستعانة بالله بالدعاء 0
- ترك الذنب والتوبة الصادقة فقد يحرم المرء القيام بالذنب 0
- النوم على طهارة وترديد أدعية النوم0
- اغتنام نوم القيلولة إن أمكن0

فاحرص يا أخى على هذا الفضل وحاول أن تصلى ركعات بالليل بين العشاء والفجر وأبدأ فى أول الليل أو أوسطه أو آخره ما تيسر لك عسى أن تكتب فى ديوان أهل الليل 0

4: التعلق بالمساجد

أ- المقصود بالتعلق بالمساجد :

---

[18] **المزمل (1)**
[19] **الإسراء (79)**
[20] **الذاريات (15-18)**
[21] **صحيح أخرجه والترمذى وأورده الألبانى فى صحيح الجامع ص 173**
[22] **حسن أخرجه الخطيب البغدادى**
[23] **صحيح البخارى ومسلم والترمذى وبن ماجه وأحمد 0**

[24] **) أخرجه أبو داود**
[25] **) رواه أحمد**
[26] **) إغاثة اللهفان .**

المساجد بيوت الله فى الأرض وزوارها عمارها يسبحون الله فيها فاستحقوا الوصف بالرجولة : **" فى بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار"** [27].

وأداء الصلاة فى المسجد ليس هو المقصود بل تعلق القلب بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه0 وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة فيها كما قال الحبيب المصطفى ✕ :" ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط [28]"

ب- وللتعلق بالمساجد فضائل : منها الحياة الطيبة وحسن الخاتمة ، وأن يعد الله له نزلا فى الجنة ، وأن الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه ، وله البشارة بالنور التام يوم القيامة ، وله حصول الرحمة والجواز على الصراط ، وللمتعلقين بالمساجد علاقة خاصة بالملائكة يسألون عنهم إذا غابوا ويعودونهم إن مرضوا ويعينونهم على حوائجهم .

فلتحرص يا أخى على صلاة الجماعة الأولى بالمسجد ، ولتحرص على الصف الأول ، ولتكن نيتك العودة إلى المسجد وأنت خارج منه ، واجعل لك فيه أوقات تنتظر الصلاة فيه ، واحرص على حضور حلق الذكر ودروس العلم والمحاضرات 0

أولاً : اغتنام مواسم الخيرات والأوقات الفاضلة

فضل الله عز وجل بعض الأوقات على بعض ، ففضل رمضان على سائر الشهور وفضل الجمعة على سائر الأيام وفضل ليلة القدر على سائر الليالى وفضل وقت السحر على سائر الأوقات0 وعلى من يريد أن يتعهد قلبه بالإصلاح أن يغتنم الأوقات الفاضلة وأن يعرض نفسه لنفحات الله عسى أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا0

- **من هذه الأوقات شهر رمضان :** فهو خير الشهور قال عز وجل **" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقآن "** [29] أنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام ، وهو من خير العبادات فاحرص يا أخى على الاستعداد لرمضان كما كان يفعل الصحابة يعيشون فى رحاب رمضان نصف العام ويستعدون له النصف الآخر ، ومن أول رجب أدع الله وقل اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان ، واحرص فى شهر رمضان على أن

---

[27] **" النور (36-37)**
[28] **) رواه مسلم**
[29] **البقرة (185)**

تصوم جوارحك ، وان تلازم المسجد ما أمكن ذلك وصاحب القرآن فيه تلاوة وتدبرا ، وأكثر فيه من الذكر وقيام الليل ، واحرص على الاعتكاف فى العشر الأواخر فيه اقتداء بالحبيب محمد ✕ عسى أن توافق ليلة القدر فتنال فضلها وجزاءها ، واحرص على أداء زكاة الفطر فإن قبول صيامك مرهون بأدائها .

- **ومن هذه الأوقات الفاضلة يوم الجمعة :** وهو خير يوم طلعت فيه الشمس ، فيه ساعة إجابة لا يوافقها عبد يدعو الله بشىء إلا أجابه له0 فلتجعل يوم الجمعة يا أخى يوم القلب واجعل لك فيه برنامجا إيمانيا بالذهاب مبكرا إلى المسجد بعد الاغتسال والتطيب ولبس أحسن الثياب ، ولتكثر فيه من الصلاة على الحبيب محمد ✕ ، وتجتهد فى الدعاء والإلحاح فيه عسى أن توافق ساعة الإجابة، ويكفى فى فضل الجمعة ما رواه أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ✕ : " من غسل واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع وأنصت ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة اجر صيامها وقيامها "[30]
- **ومن هذه الأوقات الفاضلة وقت البكور بعد صلاة الفجر :** فعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ✕ " من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة "[31]
- **ومن هذه الأوقات الفاضلة وقت السحر :** وقد سبق الكلام عنه فى قيام الليل 0

ثانياً : كثرة الصيام

1- أهمية الصيام :

فالصيام هو السبيل إلى التقوى قال تعالى :

" يا أيها الذي آمنوا كتب عليكم الصيام كما كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " [32]

وقال المصطفى ✕ موصيا : " عليك بالصوم فإنه لا مثل له "[33] وهو جُنة من النار وقال رسول الله ✕ " من صام يوما فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض " [34]. ويكفى الصوم منزلة أن المولى عز وجل قال فى حديثه القدسى الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ✕ :" كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به " [35]

ب- وللصوم فوائد جمة : منها صفاء القلب ونفاذ البصيرة ورقة القلب وتهيؤ الإرادة والانكسار والذل لله وزوال الأطر والأشر وكسر الشهوات خاصة شهوة الفرج والكلام وملك زمام النفس وقلة النوم وكثرة التهجد وحق البدن ودفع المرض والخفة إلى العبادة ولين القلب0

قال الفضيل : اثنان تقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل ، وقال لقمان لابنه لا تأكل شيئا على شبع فإنك إن تتركه للقلب خير لك من أن تأكله .

---

[30] حديث صحيح رواه احمد وأبو داود والترمذى والنسائى وبن ماجه والحاكم فى المسند وصححه الحاكم والالبانى فى صحيح الجامع (6405)

[31] رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح 0

[32] البقرة 183

[33] إسناده صحيح على شرط مسلم رواه بن حيان واحمد والنسائى والطبرانى وعبد الرازق

[34] صحيح فى الجامع الصغير ح (6333)

[35] رواه أحمد ومسلم والنسائى

فاحرص يا أخى : على اغتنام رمضان فهو صوم الفريضة وأكثر من صيام النوافل وذلك يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع والثلاثة أيام البيض من كل شهر والأيام الفاضلة والتى وردت فى فضل صيامها أثر عن النبى ✕ كيوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء .

ثالثاً : التفكر

1- أهمية التفكر :

يقول الامام الغزالى : إن الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والتعظيم له فى مخلوقاته والتفكر فى عجائب مصنوعاته وفهم الحكمة فى أنواع مبتدعاته فيكون ذلك هو السبب فى رسوخ اليقين . وقد أمر الله عز وجل الإنسان أن يتفكر فى أصله ونشاته **" فلينظر الإنسان مم خلق 0 خلق من ماء دافق "** [36] سئل أبو الدرداء : أترى التفكر عملا من الأعمال ، قال : نعم هو اليقين" . وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

ب- مجالات التفكر :

- وأن يتفكر الإنسان فى نفسه : "وفى أنفسكم أفلا تبصرون " [37]

" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين 0 ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين " [38] . فانظر إلى النطفة وهى قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر، ولو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت، كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته، مطيعة لمشيئته، وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى، وألقى المحبة بينهما وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الإجتماع الذى هو سبب تخليق الولد وتكوينه ، وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما فى موضع واحد جعل لهما قراراً مكينا ، لا يناله هواء يفسده ، ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل إليه ، ولا آفة تتسلط عليه، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشرقة علقة حمراء تضرب إلى السواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة فى لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعلها عظاما مجردة لا كسوة عليها، مباينة للمضغة فى شكلها وهيئتها وقدرها وملمسها ولونها0

وانظر كيف قسم كل الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين، وبيَّن ذلك ، ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده عن الإنحلال وكيف كساه لحما ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاءً وحافظاً وجعلها حاملة له مقيمة له ، فاللحم قائم بها وهى محفوظة به، وكيف صورها فأحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ومد اليدين والرجلين وبسطهما وقسم رؤوسهما بالأصابع ثم قسمها بالأنامل وركب

---

[36] **(الطارق 5- 6)**
[37] **الذاريات (21)**
[38] المؤمنون (12-14)

الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه. صنع الرب الحكيم وتقدير العزيز العليم فى قطرة من ماء مهين ، فويل للمكذبين وبعدا للجاحدين0

ومن عجائب خلقه ما فيه من الامور الباطنه التى لا تشاهد ، كالقلب والكبد والطحال والرئة والأمعاء والمثانة وسائر ما فى بطنه من الآلا ت العجيبة والقوى المتعددة المختلفة المنافع 0

والمقصود التنبيه على أقل القليل من وجوه الحكمة التى فى خلق الإنسان ، والأمر أضعاف ما يخطر بالبال، أو يجرى فيه المقال.

- وكذلك فعلى المؤمن أن يتفكر فى الكون من حوله : " قل انظروا ماذا فى السموات والأرض " [39]

فلينظر فى ملكوت السموات وعلوها وسعتها واستدارتها، وعظم خلقها، وحسن بنائها، وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها، ومقاديرها، واشكالها، وتفاوت مشارقها ومغاربها ، فلا ذرة فيها تنفك عن حكمة، بل هى أحكم خلقا واتقن صنعا وأعجب للعجائب من بدن الإنسان بل لا نسبة لجميع ما فى الأرض إلى عجائب السماوات قال الله تعالى : **" أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها "** [40]، وقال تعالى **: " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس "** إلى قوله: **" لآيات لقوم يعقلون "**[41]، فبدأ بذكر خلق السموات وقال تعالى**: " إن فى خلق السموات واختلاف اليل والنهار لآيات لأولى الألباب "**[42] وهذا كثير فى القرآن ، فالأرض والبحار والهواء ، وكل ما تحت السموات ـ بالإضافة إلى السموات ـ كقطرة فى بحر ولهذا قَلَّ أن تجئ سورة فى القرآن إلا وفيها ذكرها ، إما إخباراً عن عظمتها وسعتها، وإما إقساماً بها وإما دعاء إلى النظر فيها ، وإما ارشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها ، وإما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة ، واما أستدلالا بربوبيته على وحدانيته وانه الله الذى لا إله إلا هو وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته 0

فأرجع البصر إلى السماء ، وانظر فيها وفى كواكبها ودورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها فى الحركة على الدوام من غير فتور فى حركتها ولا تغير فى سيرها ، بل تجرى فى منازل قد رتبت لها بحساب مقدر لايزيد ولا ينقص إلى أن يطويها فاطرها وبديعها ثم انظر إلى مسير الشمس فى فلكها ، ثم هى فى كل يوم تطلع وتغرب بسير سخرها له خالقها لا تتعداه ولا تقصر عنه ولولا طلوعها وغروبها لما عرف الليل والنهار ولا المواقيت ، ولا طبق الظلام على العالم أو الضياء ، ولم يتميز وقت المعاش عن وقت السبات والراحة0

---

[39] يونس (101)
[40] **النازعات (27- 28)**
[41] **البقرة (164)**
[42] **آل عمران : (10)**

وانظر إلى القمر وعجائب آياته كيف يبديه الله كالخيط الدقيق ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئا فشيئا كل ليلة حتى ينتهى إلى إبداره وكماله وتمامه ، ثم ياخذ فى النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى ليظهر من ذلك مواقيت العباد فى معاشهم وعبادتهم ومناسكهم ، فتميزت به الأشهر والسنون ، وقام به حساب العالم مع ما فى ذلك من الحكم والآيات والعبر التى لا يحصيها إلا الله 0

ثم يقول ابن القيم : ـ ولو أردنا ان نستوعب ما هى آيات الله المشهورة من العجائب والدلالات المشاهدة لله بأنه الله الذى لا إله إلا هو ، الذى ليس كمثله شئ وأنه الذى لا أعظم منه ولا أكمل منه ولا أبر ولا ألطف : لعجزنا نحن والأولون والآخرون عن معرفة أدنى عشر معشار ذلك ، ولكن ما لا يدرك جميعه لا ينبغى تركه البتة والتنبيه على بعض ما يستدل به على ذلك [43]

فهذه أمثلة للتفكر فى خلق الله ، علينا أن نحذو حذوها فى سائر ما يحيط بنا من آيات فنتفكر فى الليل والنهار ، كما قال تعالى : **" الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا "** [44]وفى الدواب بأنواعها **: " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت "** [45]، وفى الجبال والبحار والأنهار والنبات والهواء وسائر المخلوقات ، ونقرن ذلك بالأذكار المناسبة من تسبيح وتهليل .

ومن تفكر فى خلق السماوات الأرض لا بد وأن يخاطب ربه **" ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار"**[46] يقول النبى ✕ تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله "[47] فإن التفكر فى آلاء الله هداية وأما التفكر فى ذات الله هلكة يقول النبى ✕ "يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته " [48]

وفى الحديث يعلمنا النبى ✕ كيف نتفكر وإلى أى حد ينتهى وعلى المرء أن يتفكر فى قصص الأمم السابقة فإن لنا فيها العظة ولأهمية هذا الأمر فقد قصها الله عز وجل على نبيه تثبيتا له وتوضيحا له أنه حلقه فى هذه السلسلة المباركة **" وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون "** [49]

فلا بد أن تكون لك ساعات تخرج فيها لتنظر إلى صفحة الكون المشهود فتنظر إلى خلق الله الشمس مثلا وتتفكر فى خلقها وإبداعها ورقة صنعها وكيف يدلك على وجود الله ووحدانيته ففى خلقها عظيم النعم علينا.

---

[43] مفتاح دارالسعادة للامام ابن القيم "بتصرف"
[44] غافر : 61
[45] الغاشية : 17
[46] آل عمران (191)
[47] حديث حسن رواه أبو الشيخ والصبرانى أورده الالبانى فى صحيح الحاكم 975
[48] متفق عليه
[49] الأنبياء (92)

رابعاً : المبادرة إلى الطاعات والإكثار من الخيرات :-

أبواب الخيرات كثيرة والإكثار من ولوجها مما يزيد الإيمان نذكر منها :

*** عيادة المريض وإطعام الجائع : -**

يروى النبى ✕ مشهدا من مشاهد يوم القيامة فى صورة حوار بين الله وعبده عن الله عز وجل يقول الله تعالى يوم القيامة : " يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال أو ما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده، يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي " [50]

*** السعى فى قضاء حوائج المسلمين :**

قال تعالى : **" وافعلوا الخير لعلكم تفلحون "**[51] ، **"وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم"**[52] .

" وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ✕ "من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[53] 0 وقال ✕ " الخلق عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله"[54] وفى الحديث " لأن يمشى أحدكم في قضاء حاجته وأشار بإصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدي هذا شهرين" [55]

*** إماطة الأذى عن الطريق :**

روى الشيخان عن النبى ✕ " بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك فأخذه فشكر الله له فغفر له" وفى رواية "مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يأذيهم فأُدخل الجنة "

*** الإحسان إلى الجار :**

---

[50] رواه مسلم
[51]) سورة الحج 77
[52]) البقرة 215
[53] متفق عليه
[54] رواه مسلم
[55] رواه الحاكم

عن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ✕ " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمــن جاره بوائقـه[56] " [57]، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ✕ : "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" [58]

*** الزيارة فى الله :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ✕ " أن رجلا زار أخا في قرية أخرى فارصد الله تعالى على مدرجته[59] ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية قال هل لك من نعمة تربها[60] عليه ؟ قال : لا غير أنى أحببته في الله تعالى ، قال فإني رسول الله إليك لأن الله قد أحبك كما أحببته فيه" [61]

وعنه قال: قال رسول الله ✕ : "من عاد مريضا او زار أخا له فى الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا" [62]

*** الإحسان إلى اليتامى والمساكين :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا شكا إلى رسول الله ✕ قسوة قلبه فقال له: "إن أردت تلين قلبك فأطعم المسكين وأمسح على رأس اليتيم" . وقد كان دخول الجنة والزحزحة عن النار هو الشغل الشاغل للصحابة رضوان الله عليهم.

وهاهو الصحابى الجليل أبا ذر يسأل النبى ✕ ماذا ينجى العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله، قلت: يا نبى الله مع الإيمان عمل ؟ قال: أن ترضخ مما خوَّلك الله (تعطى مما ملكك الله)، قلت: يا نبى لله فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ ؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قلت: فإن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال: فليعن الأخرق (الجاهل الذى لا يعرف صنعه)، قلت: يا نبى الله أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع، قال: فليعن مظلوما، قلت: يا نبى الله أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال: ما تريد ان تترك لصاحبك من خير ليمسك أذاه عن الناس، قلت: يا رسول أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: ما من مؤمن يطلب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيديه حتى تُدخله الجنة" [63]

---

[56] **شروره**
[57] **متفق عليه**
[58] **رواه مسلم**
[59] **طريقه**
[60] **تقوم بها وتسعى فى صلاحها**
[61] **رواه مسلم**
[62] **رواه الترمذى وقال حديث حسن**
[63] **رواه البيهقى**

بهذا يعيش المسلم فى مجتمعه ينبوعا يفيض بالخير والرحمة ويتدفق بالنفع والبركة، يفعل الخير ويدعو اليه ويبذل المعروف ويدل عليه، فهو مفتاح للخير مغلاق للشر، يصدق فيه قول النبى ✕ : "طوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقاً للشر" [64]

*** مداومة الإنفاق فى سبيل الله :**

إن الإنفاق فى سبيل الله دليل عملى وبرهان على الإيمان كما أخبرنا الحبيب المصطفى ✕ فى الحديث الشريف: "والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك" [65]، ذلك أن النفس مجبوله على حب المال **" وتحبون المال حبا جما "** [66]، وهى شهوة تنمو مع المرء ولا تفارقه، كما قال الصادق الأمين ✕ " لو كان لا بن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" [67] ولأن الشح مفتاح كل شر فقد أمر الله عز وجل عباده بالتطهر منه فقال : **" وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** [68]، وقال: **"وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين "** [69]، قال الحسن البصرى فى تفسير الآية : هو البخل .

والصدقة وسيلة لتزكية النفس والتطهر فقد صدر التوجيه من الله إلى حبيبه ومصطفاه محمد ✕ **"خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "** [70]، والتزكية والتطهر من المهام الأساسية للرسالة المحمدية : **" كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة "** [71].

والمرء يجد نفسه بين داعى النفس والشيطان اللذين يخوفانه الفقر: **" الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء"**[72] وداعى الإيمان الذى يرغبه فيما عند الله : **" مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم "** [73] والمرء يظل بين مد وجذر وشد وجذب يبخل أم ينفق ويصف الحبيب المصطفى ✕ حال البخيل وحال المنفق فى سبيل الله فى حديثه الذى رواه أبى هريرة قال : " مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد أى درعان من حديد قد اضطرت أيدهما إلى ثدييهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها "[74] ، ويوضح الحديث حال البخيل وحال الذى يدرب نفسه على الإنفاق برجلين كل منهما يلبس درعا من الحديد ليس له أكمام او منافذ لخروج اليدين

---

[64] رواه ابن ماجــه
[65] رواه مسلم
[66] الفجر (20)
[67] متفق عليه
[68] التغابن (16)
[69] البقرة (195)
[70] التوبة (103)
[71] البقرة (151)
[72] البقرة (268)
[73] البقرة (261)
[74] رواه البخارى ومسلم

وقد شدت يدا كل منهما إلى ثديين وترقوتين فيما يشبه الغل (القيد) فكلما تصدق المتصدق بصدقة انبسطت منه حلقات الدرع شيئا فشيئا حتى تحررت اليدان تماما أما الآخر كلما هم ولم يفعل عادت الحلقات محكمة على صدره ولا زالت يداه مغلولتين0

أخى الحبيب أى الشخصين تحب أن تكون ؟

لا أظن أن أحدا يحب أن يكون ذلك المقيد المغلول بشحه إذن فلتجعل لك صدقة يومية مهما قلت واستجب لقوله تعالى : **" لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله "** [75]

كن كأبى مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشئ ولو كعكة أو بصلة [76]

فإن التصدق سوف يزيد الإيمان والإيمان يزيد بالتصدق وهكذا حتى تقتحم العقبة الكئود فى طريق تزكية النفس وزيادة الإيمان وهى الشح **" فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة "**[77] فإذا انطلق المرء على طريق الإيمان انبسطت يده وانفق مما يحب **" لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون "** [78]، تلك الآية التى سمعها أبو طلحه فتصدق بأحب ماله إليه وهى (نخل بيرحاء) قائلا للنبى ✕: " إنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال رسول الله ✕ : "بخ ذاك مال رابح ، بخ ذاك مال رابح " [79] وقد كان صحابه النبى ✕ يتنافسون فى هذا الميدان ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " أمرنا رسول الله ✕ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالى فقال رسول الله ✕ : ما أبقيت لأهلك؟ فقلت : مثله، قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك لشئ أبدا " [80]

والصدقة أخى الحبيب حجاب لصاحبها من النار وهى ظل لصاحبها يوم القيامة وفى الدنيا دواء للمرض وتدفع البلاء وتيسر الأمور وتجلب الرزق وتقى مصارع السوء وتطفئ غضب الرب أعاننا الله واياك على اقتحام العقبة والمداومة على الإنفاق فى سبيل الله

---

[75] **الطلاق (7)**
[76] **صحيح رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم 0**
[77] **البلد (11-16)**
[78] آل عمران (92)
[79] رواه البخارى ومسلم
[80] حديث حسن أخرجه الترمذى وابن أبى عاصم